



عودة الروح

بين العامية والعريية

— ١ —

أو تسمع بهم مطلع كل شمس ، فقد هم اليك في صورتهم الحققة التي تعرفها ، أو تحسها ولا تكاد تنسرها ، بل ما تراها حتى تتعرف اليها وترى فيها الصورة الصادقة التي تتخيلها ، وهي ليست الا اشخاصا من صميم المجتمع المصري أدار المؤلف قصته حولهم ، وقدمهم اليك في لباقة ومهارة ونفث فيهم من روحه القوى المؤاتي ، كما نفث في أهل الكهف من قبل ، واذابهم أحياء يسعون ويتحركون ، يتعاطون من الوان الحياة ويعانون من ضروبها ما يمر بالكائن الحي كل ساعة وكل يوم ، فاذا هم ليسوا تصوير الخيلة ولا وهم القريحة بل اناس من لحم ودم ، محبين اليك ، مقرين منك . لانك لا تجلبهم ولست بالغريب عنهم ، بل لطالما رأيتهم وتحدثت اليهم وسمعت من أنبائهم واخبارهم الكثير ، وكل ما هناك أن المؤلف انزعجهم من اللحم والدم وضمنهم كتابا من اسطر وكلمات ، ولكن ما نزع منهم الروح ولا حرمهم الحياة ، فانهم ليحيون حياة موفورة ناضجة ، بل كأنهم استمتعوا بدنياهم مرتين ، مرة في الحياة الحققة ومرة بين جلدتي كتاب . وما ندرى أي الحياتين كانت عليهم أجدى ولذكروهم أخلد وأبعد أثرا .

على أن « عودة الروح » أثارت لغطا واثارت نقدا هجاها ونال أو حاول النيل منها . أو قل على الاصح أن لغة « عودة الروح » هي التي أثارت هذا اللغظ واثارت هذا النقد ، فما قرأنا حتى اليوم كلمة هجاء أو قدح في الرواية ذاتها ، ولعلها فوق ان يتناولها الناقد بالذات ، أو انها تسمو في صميمها عن اللغظ ، فما كان بد لمن أراد ذلك ان يتناول المظهر ويترك الأصل والجوهر ، فلا يطرق بابا يعلم انه لا يستطيع ان يلججه في سهولة ولا في عسر ، مهما جهد أو وسعت له الخيلة على أن هذا اللغظ الذي اثارته القصة كان خليقا أن يثير مناحي من التفكير ليست في الحق جديدة ، وليست بما لم يتناولها الكتاب بأقلامهم قبل اليوم ، ولكنها تعاد اليوم في صورة رحة فسيحة الخبثات ، وتتهز لها فرصة هي ولا شك أفضل الفرص وأقربها الى خيبة المسعى ، وأدناها الى قطع الرجاء . وعندى ان انصار العامية - وما أعرف موقفي منهم على وجه الدقة - ما كانوا يرجحون بفرصة عارضة كهذه الفرصة السعيدة ، تثار فيها قضية العامية والعريية من جديد ويكون مثار النزاع ومركز الشجار حول « عودة الروح »

أشهد أن الاستاذ توفيق الحكيم مؤلف متعب وكاتب ليس بالسهل ولا باليسير ، وما عليك ان لم تلحق غباره أو تلم بجميع نواحيه ، ويخيل الى أنه كقمة افرست الشاخنة ترسل اليها البعثات من آن لآن ، ويرتاذا الرواد من شتى جنباتها يحاولون الوصول الى ذلك السمو وارتقاء ذلك الارتفاع الشاهق ، ويهيئون لذلك الوسيلة يأخذون للامر أهبة وعدته ، ثم يعودون ليكتبوا عنها المجلدات الضخمة ويضعون في وصفها الاسفار المسببة ، وما يزال اكثرها مجهولا في طي الخفاء ، بعيدا عن الثابت من اليقين الذي لا يقبل الشك ، وتضيق كل الجهود أمام ذروة هذه القمة هباء .

أثارت « أهل الكهف » للاستاذ المؤلف ما أثارت ، وأوسع لها النقد الرحاب وهتف لها اكبر الكتاب وأئمة النقد في البلد ، وارتفع توفيق الحكيم كالطود الشامخ في مثل ملح من البرق خاطف ، واصبح اسمه ملء الاسماع والابصار ، ولما يقدم الا رواية واحدة أو قل كتابا واحدا من مجموعة ضخمة يخاليل بها الناس ويضن عليهم بها .

ثم نشر قصته « عودة الروح » فدلّت على ناحية جديدة من نواحي كفاية هذا الشاب المؤلف ، وعلى معين جديد يغرف منه توفيق الحكيم في حكمة ومهارة . ودقة واستنباط ، لست تدري كيف تصفها ولا كيف تصورها صورتها الحق من الجمال والفن

و « أهل الكهف » و « عودة الروح » كتابان جد مختلفين ، فالأول قصة قديمة ، أو قل اقصوصة دينية صاغها المؤلف في حق ومهارة وأتى فيها بكل طريف مبتكر بما قدره النقد وجعله يرفع الكاتب لأول وهلة الى عليين ، لانه لم يكن بد مما ليس منه بد ، والثاني شديدا يختلف عن الاول كل الاختلاف ويفترق عنه في جوهره ولبابه ، وان شابه في تفصيله وحبكته ، فعودة الروح قصة مصرية ، عريقة في مصريتها ، كتبها توفيق الحكيم عن الأشخاص الذين تراهم كل يوم

قرأت هذه القصة منذ شهرين فما طلعت شمس يوم الاوفى نيتي ان أكتب عنها ، وما دخل ليل الاوقد هيات الورق والقلم ، ولكن تمر الايام والليالي وانا متيهب أو كالمتهيب أن آخذ في حديث عن هذا الكنز فأغفل عن درة من درره ، او تفوتني جوهرة من جواهره ، أو كأني وقد شغلني حديث — أبطال القصة — محسن وسنية وسلم وعبدو وحنفى وزنوبه ومبروك طوال هذا الزمن ، استطبت الحياة مع هؤلاء الأصدقاء الجدد ، واستعذبت حديثهم واسترحت الى ما يعرضون على من قصتهم وحوادثهم ، والوان شخصياتهم الطريفة البديعة ، فنسيت معهم كل شيء ، او حرصت على هذا النسيان ولم أشأ لنفسى ان أحرمها هذا الحلم الجميل ، فطال وطال حتى لم يكن بد من يقظة ولو مؤخرة

وكان لزاما على ان احدث القراء حديث هؤلاء الابطال وما وقع لهم بالتام والسكال ... ولكن هذا اللغظ الذى ثار حول لغة الرواية لم يكن ليمر دون أن يثير — كما قلنا — كثيرا من التأمل وكثيراً من التفكير ، وكان أولى ان يتقدم فيه القول قبل ان ندلى برأى او كلمة فى القصة نفسها ، وانى لأسأل على دهش منى وعجب ليس بالقليل : أيهما احق بالاتفات والنقد . . . أظهر أم الجوهر ؟ أثوب أم لابس ؟ ألقصة أم لغتها ؟

أفهم ان يتناول كاتب قصة ، ينقدها ما شاء له النقد ، ويمدحها او يهجوها ما شاء له المدح او الهجاء ، وما شاء له ذوقه الشخصى وكفاياته واطلاعه ومقاييسه الأدبية ، أفهم هذا وأستسيغه ، واذا ما انتهى الناقد من القصة ذاتها وشاء ان ينقد لغتها واسلوبها من حيث اللغة نفسها فلا جناح عليه ، بل لعله المقصر إن لم يفعل إن كان من الخبيرين بهذه الناحية المشهود لهم بالاحسان فيها ، اما ان أدع القصة جانبا فلا أتأولها بخير ولا بشر ، ولا أقول فيها كلمة لينة أو عسيرة ، ثم أقفز قفزة — يالها من قفزة — فأخذ بتلايب المؤلف لانه كتب بالعامية ولم يكتب بالعربية ، فهذا الذى لا يفهم ولا يستساغ ولا يكاد الانسان يلوكه فى فمه ويجد له طعما أو مذاقا

أيهما الأصل ؟ ألقصة أم لغتها ؟ وأعنى اللغة التى كتبت بها القصة كائن حى خارج عن دائرة اللغة لانها أى — القصة — موجودة لها كيانه وذاتيتها كتبت ام لم تكتب ، وهذه الحياة التى احيها انا وأنت وغيرنا من خلق الله لا يستطيع انسان — على ما اظن — أن ينكرها ، وليست هذه الحياة الا قصة من مئات الملايين من القصص ، لا ينقص وجودها ولا يقل من ذاتيتها كتابتها باللغة العامية أو العربية أو الفرنسية أو الانجليزية أو أية لغة

من لغات العالم ولا استثنى الهيروغليفية ، فقصة « عودة الروح » ليست الا احدى قصص هذه الحياة التى تزخر بالملايين من شيباتها فهل نمحوها من الوجود ونسكّر الاعتراف بوجودها لانها لم تلبس لنا ثوب اللغة الفصيحة

وما قيمة هذه الحياة — هذه الحياة التى تتمثل فى اقصوصة — اذا كنا لا نتعرف اليها ولا نعترف بها الا فى اسمو كنج أو الفراك ؟! فاذا طالعتنا فى زينا الحق ، فى ذلك الجلباب الفضفاض والسروال العريض انكرناها ومررنا بها سراعا غير آبهين أو ملقين النظر ؟ ان فى حوائث الحائكين آلافا من هذه البذلات الانيقة الموشاة بالحرير والدمقس ولكن يعيننا أن ندس فى طياتها حياة أو فى أردانها قصة ؟! وما علينا بالله لو عيننا بالقصة فى ذاتها فهى ليست بما يستطيعه كل انسان وتركنا هذه البذلة جانبا وهى بما فى مقدور كل حائك ؟!

ما الأصل ألقصة أم لغتها ؟ وندور لنعود الى سؤالنا الأول . القصة هى الموهبة وهى الخلق ، أعنى انها نتاج الموهبة وهى الثمرة أى الخلق الذى ينتهى اليه الفنان الموهوب ، واللغة اكتساب وتحصيل وأنت واصل بالدرس والمران الى هذه اللغة ولوطالت الشقة ، ولكنك لن توجد من العدم موهبة ولن تخلق من العظام الرميم حياة ولن تهشم رأس انسان لترفع عقلا سقيا وتضع مكانه عقلا خالقا ولو جهدت ولو استعديت كل قوى البشر ، افما كان الاجدر بك والامر كما ترى أن تنظر الى الموهبة لتقدرها قدرها أولا ثم تنظر بعد ذلك فى الاكتساب والتحصيل ؟! وهل تحرم على هذا العامى الجاهل بأنك من عرض الطريق بمحض القطرة والعقل الخالق بما لا يستطيعه العالم الجهد بعد الجهد والاعياء ؟! نقول هل تحرم على الاول الخلق مجرد انه جاءك فى ثوبه الطبعى ولم يحاول ان ينمقه بيد الصناعة ؟! وهل تأخذ عليه انه ينيبك الخبر كما وقع ويحدثك بالامر على لسان أهله كما تحدثوا به ؟

لست أدب هنا عن مذاهب الفن المتعددة فيما نحن بصده ، وقد أعلم ان الاستاذ توفيق الحكيم قد يحتج بانه ينقل الحياة كما هى ويرد عليه بان الفن ليس فى نقل الصور نقلا فوتغرافيا وان يكن لهذا جماله ووقعه ، وقد يحتج الاستاذ المؤلف بان أشخاص قصته لم يكن لهم ليتحدثوا غير هذه اللغة التى أدار الحوار عليها لانها لغتهم الطبيعية ، بل ولأن هذه هى اللغة التى تحدثوا بها بالفعل لا أكثر ولا أقل ، ويكون من العسير أن تناقش المؤلف فى هذا القول ، لنذع كل هذا الآن ولنحصر الجدل فى قضية واحدة فاننا اذا نفرعنا بالقول هنا وهناك ذهب الاصل واشتبكتنا فى فروع وفروع

مكتبة الطالب

داخل أسوار الجامعة المصرية — خلف كلية الآداب
تبيع الكتب الأفريقية والعربية والمجلات العلمية اللازمة
لطلبة كليات الجامعة — وبها قسم خاص به مختلف
الأدوات الكتابية .

يصدر قريباً

ذكرى ابن خلدون

عرض نقدي لحياته

بقلم

الاستاذ محمد عبد الله عنان

الصحة والقوة

وجسم عجب وعقل يهتدي للنجاح

الخفاة . السمنة . قصر لقامة . العادة السيئة . الاستعداد
الضعف لتأني . الإنسان . ضعف المعدة . القلب . الصد
الأعصاب . نفوس لأربيل . النحل . ضعف لذاكرة ولإرادة
قدرة النفس في النفس وكل الأمراض المزمنة والعصر الجرماني والعقلية
يمكن عدمه في المنزل على جاسريفا أكيداً بتمريبات خاصة .
كل شيء مشروح

كتاب الجسم الكامل وكتاب العقل الكامل

١٠٠ صفحة بمائة فقط ١٠ ملومات طرايع برسته للبريد
(قسمة مجاوب في الخارج) غيرت للكتاب الذي تطلبه واكتب باسم

محمد فائق الجوهري

مدير معهد التربية البدنية والعقلية
١١ شارع سنجر السوردي فاروق مصر
تليفون ٥٠٣٥٩

للفروع لانهاية ولا آخر لها، وضعنا وضاع الحق بيننا ، وهذه الدائرة
التي نريد ان نحصر فيها القول يجمعها هذا السؤال ولنكرره للمرة
الثالثة ولو اعدناه للمرة الثالثة بعد المليون ماضجرنا
أيها الاصل ... القصة ؟ أم لغتها ؟ ان كانت القصة هي
الاصل وهي الجوهر وهي مدار الحديث وجب أن تكون عناية
النقد موجهة اليها ، وان كانت القصة القشور واللغة الجوهر فهذه
مسألة أخرى

ولنفرض ياسيدي ان لغة « عودة الروح » كانت هي الانجليزية
أو الفرنسية أو الفارسية ، فإذا ؟ ماذا بالله يا أبا الاسود الدؤلي ؟ هل
أخذت « احتكارا » باللغة العربية فما يكتب انسان الا بها ولا
يدور حوار ما بين القطبين الا على أوزانها وضروبها ونحوها
وصرفها ؟ ولنفرض ان العامية من العربية كالفرنسية أو الانجليزية
منها أفلو أن توفيق الحكيم كتب « عودة الروح » بأية لغة من
لغات العالم كنا نرفضها ونأى ان نعترف لكتابها بجهد أو فضل
لمجرد انه كتب قصته بهذه اللغة أو بتلك ؟ افلا نقرأ القصص في
لغات العالم فنعجب بها وهي ليست باللغة العربية ؟ لست اسأل
هازلاً أو متندرا بل اني لجاد كل الجد ، فإذا كنا نفعل ذلك فما بالنا
نقف من قصة بالعامية هذا الموقف ؟ ولنفرض ياسيدي ان توفيق
الحكيم لا يعرف اللغة العربية أفكسر هذا القلم الذهبي ونخرس
هذا اللسان الحكيم ونقبر هذا العقل الخلاق لمثل هذا السبب ؟ بل
ولآلف سبب مثل هذا السبب ؟ ! وإى أديب سلبت لغته من
الشوائب وهاهو أحد أئمة النقد يصم اسلوب احدائمة الكتاب بانه
لايسلم من الابتذال وكتب آخر ينال من كاتب معروف ويقول
فيه مالم يقل عشر معشاره في توفيق الحكيم ؟

وأيهما اجدى على الدنيا وأجدى على الادب ، كاتب ذخيرته
الفاظ وكلمات ام كاتب ملء اهابه الحياة وملء جعبته الدنيا يخرج
لنا منها عقله الموهوب زادا دسما وطعاما لنا فيه شبع ورى ؟ لو
اجتمع الكاتبان لكانا أمل الدنيا وأنشودة العالم فاذا لم تشأ حكمة
ازليه الا أن تفرق بينهما فأيهما نأخذ وأيهما ندع ؟
ان الادب غاية ، واللغة وسيلة ، وحرام ان نهدم الغاية من أجل
الوسيلة ، ونغالى من قدر هذه الوسيلة حتى ليتعذر علينا بلوغ
هذه الغاية

محمد على حماد

« الرسالة » — كلام الاستاذ أشبه شيء بالدعابة ، فإن أكثره
لا يجرى على قواعد الادب ولا أصول الفن، ولعمري كيف نستطيع
أن نفصل المعنى عن اللفظ أو القصة عن اللغة أو الموضوع عن الشكل
وليس لأحد منهما وجود فنى في ذاته ؟ فالقصة قبل أن تلبس اللغة
لا تسمى قصة ، والآلفاظ قبل أن تؤدى المعانى لا تسمى لغة ؟